٢١- باب في التعاون عَلَى البر والتقوى

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة : ٢] ، وَقالَ تَعَالَى : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١-٢]

قَالَ الإمام الشافعي - رَحِمَهُ الله - كلاماً معناه : إنَّ النَّاسَ أَوْ أكثرَهم في غفلة عن تدبر هذِهِ السورة .

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .

- أي : ليعن بعضكم بعضاً على البر والتقوى .
- **قال ابن كثير** : يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البرُّ، وترك المنكرات وهو التَّقوى، وينهاهم عن التَّناصر على الباطل، والتَّعاون على المآثم والمحارم .
- **وقال القرطبيُّ**: هو أمرٌ لجميع الخَلْق بالتَّعاون على البرِّ والتَّقوى، أي ليُعن بعضكم بعضًا، وتحاثُّوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عمَّا نهى الله عنه وامتنعوا منه، وهذا موافقٌ لما رُوِي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: (الدَّالُّ على الخير كفاعله) .
- **وقال الماورديُّ** : ندب الله سبحانه إلى التَّعاون بالبرِّ، وقرنه بالتَّقوى له؛ لأنَّ في التَّقوى رضا الله تعالى، وفي البرِّ رضا النَّاس، ومَن جمع بين رضا الله تعالى ورضا النَّاس فقد تمَّت سعادته، وعمَّت نعمته .
- والبر والتقوى من الأسماء التي إذا أفرد كل منهما تصمن معنى الآخر ، وإذا اجتمعا حمل كل منهما على معنى يخصه ، كالإسلام والإيمان ، والفقير والمسكين .

فالمراد بالبر في هذه الآية فعل ما أمر الله به من الواجبات والمستحبات من أنواع والطاعات ، والتقوى : هي أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله وقاية بترك المحرمات .

قال تعالى ﴿ الْعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ .

(**وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**) العصر الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر ، فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر ، أي خسارة وهلاك .

- **قال ابن الجوزي** : وإنما أقسم بالدهر لأن فيه عبرة للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا ينخرم .
- **وقال الشوكاني** : أقسم سبحانه بالعصر ، وهو الدهر ، لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار ، وتعاقب الظلام والضياء ، فإن في ذلك دلالة على الصانع عز وجل ، وعلى توحيده .
- قوله (إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) هذا جواب القسم .
- والمراد بالإنسان من حيث هو لفي خسران ونقصان وهلاك .
- **قال ابن القيم** : الإنسان من حيث هو إنسان خاسر ، إلا من رحمه الله فهداه ، ووفقه للإيمان والعمل

الصالح في نفسه وأمر غيره به .

- **وقيل** : العصر هو الوقت المعروف آخر النهار قبل غروب الشمس .

لأنه المراد عند الإطلاق في الأدلة الشرعية ، فإن لفظ العصر المذكور بالأحاديث النبوية يراد به هذه الوقت ولا يراد به الزمان والدهر .

فيكون تفسير الآية بالمعهود المعروف من الخطاب .

(**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**) فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم بكل ما يجب الإيمان به من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وبكل ما يجب الإيمان به من الغيوب الماضية والمستقبلة ، وضده الكفر .

(**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**) أي : وعملوا الأعمال الصالحات بجوارحهم من واجبات ومستحبات .

- والعمل دائماً يقيده بالصالح ، لأن العمل لا يقبل إلا إذا كان صالحاً ، والصالح لا يتحقق إلا بشرطين :

الأول : أن يكون خالصاً لله تعالى .

كما قال تعالى : (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) .

ولقوله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) . متفق عليه

ولقوله ﷺ : (قال تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمِل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) . رواه مسلم

والثاني : المتابعة .

لقوله ﷺ : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) . متفق عليه

ويجمع الدلالة على الشرطين قوله تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) .

وقوله : (بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) .

وقوله تعالى : (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) .

(**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ**) أي أوصى بعضهم بعضاً بلزوم الحق والتمسك به، قولاً وفعلاً واعتقاداً، فعلاً للطاعات وتركاً للمنهيات.

(**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**) أي : أوصى بعضهم ببعض بالصبر، على فعل الطاعات، وعلى ترك المنهيات، وعلى المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر .

- لأن من قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه ، فقد تحمل أمراً عظيماً ، وقام مقام الرسل في الدعوة إلى الله .

فهذه السُّورة العظيمة القصيرة، اشتملت على معان عظيمة، مِن جملتها: التَّواصي بالحقِّ، وهو التَّعاون على البرِّ والتَّقوى .

فائدة :

- إقسام الله عز وجل بالوقت والزمان يدل على أهميته ، لأن الوقت هو عمر الإنسان ووقت العمل الصالح

الذي به النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة .

بقول تعالى في مقام الامتنان ، وبيان عظيم فضل الله على الإنسان : (وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) .

ويقول تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً) .

وأقسم الله به في مطالع سور عديدة :

قال تعالى : (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) . وقال تعالى : (وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ) .

وقال ﷺ : (لن تزول قدما عبد يـوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ...) .

وقال النبي ﷺ (اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل مرضك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك) رواه الحاكم .

- والوقت من خصائصه أنه سريع الانقضاء .

فهو يمر مرّ السحاب ، ويجري جري الريح ، ومهما طال عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا فهو قصير ، ما دام الموت هو نهاية كل حي ، ورحم الله الشاعر إذ يقول :

وإذا كان آخر العمر موتاً فسواءٌ قصيره والطويل

يحكى عن شيخ المرسلين نوح عليه السلام أنه جاءه ملك الموت ليتوفاه بعد أكثر من ألف سنة عاشها قبل الطوفان وبعده ، فسأله : كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : كدار لها بابان ، دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

- والوقت ما مضى منه لا يعود ولا يعوض .

فكل يوم يمضي ، وكل ساعة تنقضي ، وكل لحظة تمر ، ليس في الإمكان استعادتها .

ولذلك قال الحسن : ما من يوم ينشق فجره ، إلا وينادي : يا ابن آدم ! أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني ، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة .

ويقول الشاعر :

وما المرء إلا راكب ظهر عمره على سفر يفنيه باليوم والشهر

يبيت ويضحي كل يوم وليلة بعيداً عن الدنيا قريباً إلى القبر

- وفي موضعين يندم الإنسان على تفريطه في وقته :

الأول : عند الاحتضار .

قال تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) .

والثاني : عند دخول النار .

قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ . وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ).

- وينبغي الحذر من الآفات القاتلة للوقت ، وهي :

الغفلة .

وقد حذر القرآن منها، حتى إنه ليجعل أهلها حطب جهنم، قال تعالى: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ).

والتسويف .

قيل لرجل من عبد القيس : أوصنا ؟ قال : احذروا سوف .

وقال آخر : سوف جند من جنود إبليس .

دعا أحد الأمراء رجلاً صالحاً إلى الطعام ، فاعتذر بأنه صائم ، فقال الأمير : أفطر وصم غداً ، قال : وهل تضمن لي أن أعيش إلى الغد ؟

تزود من التقى فإنك لا تدري إذا جنّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر

فكم من سليم مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

وكم من فتى يُمسي ويُصبح ضاحكاً وقد نُسجت أكفانُه وهو لا يدري

قال الحسن : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم .

وقال عمر بن عبد العزيز : إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما .

وقيل : من علامة المقت إضاعة الوقت .

وقيل : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك .

وقال ابن مسعود : ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي .

مرّ العبد الصالح عامر بن عبد قيس على مجموعة من الناس وهم يتحدثون، فقالوا له: اجلس معنا، فقال لهم: أمسكوا الشمس عن المسير .

وكان داود الطائي يشرب الفتيت (الخبز المبلول بالماء) ولا يأكل الخبز الجاف بدون فتٍ ، فقالت له مولاته : أما تشتهي أكل الخبز ؟ فقال لها : لقد وجدت بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قدر خمسين آية .

وقال الخليل بن أحمد : أثقل الساعات عليّ ساعةٌ آكل فيها .

قال ابن القيم : وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة ، وهو مادة حياته الأبدية ، في النعيم المقيم ، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم .

وقال الحسن : يا ابن آدم ! إنما أنت أيام ، كلما ذهب يوم ذهب بعضك .

وقال : ما من يوم يمرّ على ابن آدم إلا وهو يقول : يا ابن آدم ، أنا يوم جديد ، وعلى عملك شهيد ، وإذا ذهبتُ عنك لم أرجع إليك ، فقدِّم ما شئت .

وقال الشافعي : صحبت الصوفية فلم أستفد منهم سوى حرفين: إحداهما: الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، والأخرى: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

وقال شعبة : لا تقعدوا فارغين فإن الموت يطلبكم .

١٧٧- وعن أَبي عبد الرحمان زيد بن خالد الجهني ﷺ ، قَالَ : قَالَ رسولُ الله ﷺ : « مَنْ جَهَّزَ غَازِياً في سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازياً في أَهْلِهِ بِخَيرٍ فَقَدْ غَزَا » مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

(**مَنْ جَهَّزَ غَازِياً**) أي : هيأ له أسباب سفره ، أو أعطاه عدة الغزو .

(**في سَبيلِ اللهِ**) أي : لأجل إعلاء كلمة الله .

(**فَقَدْ غَزَا**) أي : أنه مثله في الأجر ، فقد جاء في رواية عند ابن حبان (كتب له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجره شيء) .

(**وَمَنْ خَلَفَ غَازياً في أَهْلِهِ**) أي : تولى أمرهم وقام بإصلاح حالهم .

(**بِخَيرٍ**) بالإحسان إليهم بما كان يحسنه هو حين كان معهم .

(**فَقَدْ غَزا**) أي : فقد نال أجر الغزو .

١- الحديث دليل على فضل من جهّز غازياً في سبيل الله ، أو خلف غازياً في سبيل الله بخير ، وأن له مثل أجره ، كما في رواية ابن حبان (كتب له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجره شيء) .

قال النووي : أَيْ حَصَلَ لَهُ أَجْر بِسَبَبِ الْغَزْو ، وَهَذَا الْأَجْر يَحْصُل بِكُلِّ جِهَاد ، وَسَوَاء قَلِيله وَكَثِيره ، وَلِكُلِّ خَالِف لَهُ فِي أَهْله بِخَيْرٍ مِنْ قَضَاء حَاجَة لَهُمْ ، وَإِنْفَاق عَلَيْهِمْ ، أَوْ مُسَاعَدَتهمْ فِي أَمْرهمْ ، وَيَخْتَلِف قَدْر الثَّوَاب بِقِلَّةِ ذَلِكَ وَكَثْرته .

٢- الحديث دليل على فضل التعاون على البر والخير والتقوى ، وأن أجر ذلك عظيم .

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في فضل التعاون على الخير .

أولاً : كحديث الباب (مَنْ جَهَّزَ غَازِياً في سَبيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا ...) .

قال ابن بطَّال: قال الطَّبري: وفيه مِن الفقه أنَّ كلَّ مَن أعان مؤمنًا على عمل برٍّ فللمُعِين عليه أجر مثل العامل، وإذا أخبر الرَّسول أنَّ مَن جهَّز غازيًا فقد غزا، فكذلك مَن فطَّر صائمًا أو قوَّاه على صومه، وكذلك مَن أعان حاجًّا أو معتمرًا بما يتقوى به على حجِّه أو عمرته حتى يأتى ذلك على تمامه فله مثل أجره. ومَن أعان فإنَّما يجيء مِن حقوق الله بنفسه أو بماله حتى يغلبه على الباطل بمعونة، فله مثل أجر القائم، ثمَّ كذلك سائر أعمال البرّ، وإذا كان ذلك بحكم المعونة على أعمال البرّ فمثله المعونة على معاصي الله وما يكرهه الله، للمعين عليها مِن الوزر والإثم مثل ما لعاملها .

وقال ابن عثيمين : هذا مِن التَّعاون على البرّ والتَّقوى، فإذا جهَّز الإنسان غازيًا، يعني براحلته ومتاعه وسلاحه، إذا جهَّزه بذلك فقد غزا ، أي كُتِب له أجر الغازي ؛ لأنَّه أعانه على الخير ، وكذلك مَن خَلَفَه في أهله بخير فقد غزا، يعني لو أنَّ الغازي أراد أن يغزو ولكنَّه أُشْكِل عليه أهله من يكون عند حاجاتهم، فانتدب رجلًا مِن المسلمين وقال: اخلفني في أهلي بخير، فإنَّ هذا الذي خلفه يكون له أجر الغازي؛ لأنَّه أعانه .

ثانياً : عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا

اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) متفق عليه .

قال النووي : ... صَرِيح فِي تَعْظِيم حُقُوق الْمُسْلِمِينَ بَعْضهمْ عَلَى بَعْض ، وَحَثّهمْ عَلَى التَّرَاحُم وَالْمُلَاطَفَة وَالتَّعَاضُد فِي غَيْر إِثْم وَلَا مَكْرُوه . وَفِيهِ جَوَاز التَّشْبِيه وَضَرْب الْأَمْثَال لِتَقْرِيبِ الْمَعَانِي إِلَى الْأَفْهَام .

ثالثاً : عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) متفق عليه .

قال ابن بطَّال : تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا في أمور الدُّنْيا والآخرة مندوبٌ إليه بهذا الحديث .

وقال أبو الفرج ابن الجوزي : ظاهره الإخبار، ومعناه الأمر، وهو تحريضٌ على التَّعاون .

رابعاً : عَنْ ابن عمر . أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم .

قال ابن بطَّال في شرح هذا الحديث: (... وباقي الحديث حضٌّ على التَّعاون، وحسن التَّعاشر، والألفة، والسِّتر على المؤمن، وترك التَّسمع به، والإشهار لذنوبه .

وقال ابن حجر والعيني : في الحديث حضٌّ على التَّعاون، وحسن التَّعاشر والألفة .

خامساً : وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال النَّبي ﷺ (انصر أخاك ظالمًا أو مظلوماً ، قيل : يا رسول الله، هذا نصرته مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال : تأخذ فوق يده) متفق عليه .

قال ابن بطَّال : والنُّصرة عند العرب: الإعانة والتَّأييد، وقد فسَّره رسول الله أنَّ نصر الظالم منعه مِن الظُّلم؛ لأنَّه إذا تركته على ظلمه ولم تكفه عنه أدَّاه ذلك إلى أن يُقْتَصَّ منه؛ فمنعك له مما يوجب عليه القصاص نصره، وهذا يدلُّ مِن باب الحكم للشَّيء، وتسميته بما يؤول إليه .

سادساً : وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (من نفَّس عن مؤمن كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيا نفَّس الله عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يوم القيامة، ومَن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدُّنْيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله في الدُّنْيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .

قال ابن دقيق العيد: هذا الحديث عظيم جامع لأنواعٍ مِن العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسَّر مِن عِلْم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك .

وقال ابن حجر : في الحديث حضٌّ على التَّعاون وحسن التَّعاشر والألفة .

٣- قال ابن عاشور : وفائدة التعاون تيسير العمل ، وتوفير المصالح ، وإظهار الاتّحاد والتناصر ، حتّى يصبح ذلك خلقاً للأمّة . (التحرير والتنوير) .

- وقد ذكر بعض العلماء فوائد التعاون على البر والتقوى :

أولاً : الاستجابة لأمر الله تعالى .

ثانياً : ثمرة من ثمرات الإيمان .

ثالثاً : نيل محبة الله .

رابعاً : نيل تأييد الله ، لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه .

خامساً : يسهل العمل وييسره .

سادساً : سبب من أهم أسباب الألفة والمحبة بين الناس .

سابعاً : إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد .

ثامناً : دليل حبِّ الخير للآخرين

تاسعاً : ينزع الحقد من القلوب الضعيفة ويزيل أسباب الحسد

قال ابن تيمية: فإنَّ التَّعاون نوعان:

الأوَّل: تعاونٌ على البرِّ والتَّقوى: مِن الجهاد وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وإعطاء المستحقِّين؛ فهذا ممَّا أمر الله به ورسوله. ومَن أمسك عنه خشية أن يكون مِن أعوان الظَّلمة فقد ترك فرضًا على الأعيان، أو على الكفاية متوهِّمًا أنَّه متورِّعٌ. وما أكثر ما يشتبه الجبن والفشل بالورع؛ إذ كلٌّ منهما كفٌّ وإمساكٌ .

والثَّاني: تعاونٌ على الإثم والعدوان، كالإعانة على دمٍ معصومٍ، أو أخذ مالٍ معصومٍ، أو ضرب مَن لا يستحقُّ الضَّرب، ونحو ذلك؛ فهذا الذي حرَّمه الله ورسوله. نعم، إذا كانت الأموال قد أُخِذَت بغير حقٍّ، وقد تعذَّر ردُّها إلى أصحابها، ككثيرٍ مِن الأموال السُّلطانيَّة؛ فالإعانة على صرف هذه الأموال في مصالح المسلمين كسداد الثُّغور، ونفقة المقاتلة، ونحو ذلك: مِن الإعانة على البرِّ والتَّقوى .

٤- من مجالات التعاون على البر والتقوى .

أولاً : التعاون في مجال الدعوة ونصرة الدين.

ويكون ذلك بنصرة الإسلام وأهله ، فقد حضّ الله تعالى عباده المؤمنين على نصرة دينه وأوليائه ، ونصرة نبيه ومؤازرته ومعاونته على إقامة الدين ونشر الدعوة بشتى الوسائل المشروعة .

فقال عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله" ، أي يساعدني في الدعوة إلى الله) .

ثانياً : التعاون على إقامة العبادات .

ومن أمثلة ذلك :

التعاون على قيام الليل .

عن أبي عثمان النهدي قال (تضيفت أبا هريرة سبعا فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً يصلي هذا ثم يوقظ هذا ويصلي هذا ثم يوقظ هذا) . (السير) .

ثالثاً :التعاون في بناء المساجد .

وقد أورد البخاري في صحيحه بابا في التعاون في بناء المساجد ، وسطر فيه أحاديثاً تبين بوضوح مدى التعاون بين النبي ﷺ وأصحابه في بناء المسجد النبوي .

فعن أَبِي سَعِيدٍ فِي ذِكْرِ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ قَالَ كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ، قَالَ : يَقُولُ عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ) رواه البخاري .

رابعاً : التعاون في مجال طلب العلم .

وهذا باب من التعاون يكفي في معرفته مطالعة كتب السير الغاصّة بالقصص التي بلغت من التعاون أوجه .

فهذا عمر رضي الله عنه يقول :(كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنْ الْأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ وَهِيَ مِنْ عَوَالِي الْمَدِينَةِ وَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ الْأَمْرِ وَغَيْرِهِ وَإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ..)الحديث رواه البخاري

خامساً : التعاون في القيام بحقوق المسلمين

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ (بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺإِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لا زَادَ لَهُ قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْل) رواه مسلم .

ففِي هَذَا الْحَدِيث : الْحَثّ عَلَى الصَّدَقَة وَالْجُود وَالْمُوَاسَاة وَالإِحْسَان إِلَى الرُّفْقَة وَالأَصْحَاب , وَالاعْتِنَاء بِمَصَالِح الأَصْحَاب , وَأَمْر كَبِير الْقَوْم أَصْحَابه بِمُوَاسَاتِ الْمُحْتَاج , وَأَنَّهُ يُكْتَفَى فِي حَاجَة الْمُحْتَاج بِتَعَرُّضِهِ لِلْعَطَاءِ , وَتَعْرِيضه .

١٧٨- وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ : أن رَسُول الله ﷺ بعث بعثاً إِلَى بني لِحْيَان مِنْ هُذَيْلٍ ، فَقَالَ : « لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا » رواه مسلم .

(**أن رَسُول الله ﷺ بعث بعثاً إِلَى بني لِحْيَان**) قال النووي : بِكَسْرِ اللَّام وَفَتْحهَا ، وَالْكَسْر أَشْهَر ، وَقَدْ اِتَّفَقَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ بَنِي لِحْيَانَ كَانُوا فِي ذَلِكَ الْوَقْت كُفَّارًا ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ بَعْثًا يَغْزُونَهُمْ .

مِنْ هُذَيْلٍ) يعني أن بني لحيان قبيلة من شعبة من هذيل .

(**فَقَالَ : لِيَنْبَعِثْ**) أي : لينهض وليخرج ويذهب إلى الغزو .

(**مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا**) أي : ويخلفه الآخر في أهله بخير ، كما في الرواية الأخرى (... لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ ». ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدِ « أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ) .

(**وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا**) أي : بين الغازي ، والباقي إذا قام على أهله بخير ، والجمع بين هذا وبين الرواية الأخرى (كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ) أن المراد : نصف مجموع الأجرين ، لا أن الأجر الواحد ينصّف .

١- الحديث دليل على فضل من خلف غازياً في أهله بخير .

٢- الحديث دليل على فضل التعاون على الخير والطاعة .

٣- إرسال الجيوس والسرايا للجهاد في سبيل الله .

٤- حرص الصحابة على الخير .

٥- على القائد والعالم أن يشجع الناس على فعل الخير كل حسب استطاعته .

٦-أن الجهاد فرض كفاية ، ولا يكون عينياً إلا في حالات تقدم ذكرها .

٧-تعليق الناس بالثواب الأخروي .

٨- فضل القيام على أهل من غزا في سبيل الله .

١٧٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ رَسُول الله ﷺ لَقِيَ رَكْباً بالرَّوْحَاءِ ، فَقَالَ : ((مَنِ القَوْمُ ؟)) قالوا : المسلمون ، فقالوا : من أنتَ ؟ قَالَ : ((رَسُول الله)) ، فرفعت إِلَيْه امرأةٌ صبياً ، فَقَالَتْ : أَلِهَذَا حَجٌّ ؟ قَالَ : ((نَعَمْ ، وَلَكِ أجْرٌ)) رواه مسلم .

(**لَقِيَ رَكْبًا**) جمع راكب ، وهم الراكبون على الإبل خاصة في السفر من العشرة .

(**بِالرَّوْحَاءِ**) مكان بين مكة والمدينة .

(**فَقَالَ: مَنِ اَلْقَوْمُ?**) وفي رواية النسائي (من أنتم ؟) .

(**أَلِهَذَا حَجٌّ?**) أي : أيحصل لهذا الصبي ثواب حج .

١-الحديث دليل على أن من كان سبباً في طاعة أو أعان عليها حصل له من الأجر كما لو باشرها .

٢- الحديث دليل على صحة حج الصبي ، وقد نقل الإجماع على ذلك الطحاوي .

قال النووي : فِيهِ حُجَّة لِلشَّافِعِيّ وَمَالِك وَأَحْمَد وَجَمَاهِير الْعُلَمَاء أَنَّ حَجّ الصَّبِيّ مُنْعَقِد صَحِيح يُثَاب عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ لَا يُجْزِيه عَنْ حَجَّة الْإِسْلَام , بَلْ يَقَع تَطَوُّعًا , وَهَذَا الْحَدِيث صَرِيح فِيهِ .

ومما يدل على صحة حج الصبي :

ما رواه البخاري عن السائب بن يزيد قال (حج بي أبي مع رسول الله ﷺ وأنا ابن سبع سنين) .

- **هل يجب الحج على الصبي ؟**

لا يجب عليه الحج .

لأنها قالت (ألهذا حج) ولم تقل : أعلى هذا حج .

ويدل عليه قوله ﷺ (رفع القلم عن ثلاثة : ... وعن الصبي حتى يبلغ) .

- **ما حكم من حج قبل البلوغ ؟**

من حج من دون البلوغ لا تجزئه عن حجة الإسلام .

وقد حكى الإجماع ابن المنذر وابن عبد البر والنووي وابن قدامة ، أن الصبي لا يجزئه عن حجة الإسلام .

ومما يدل على ذلك الحديث الآتي .

ولحديث ابن عباس قال : (احفظوا عني ولا تقولوا ، قال ابن عباس : أي صبي حج ثم بلغ فليحج حجة أخرى) رواه ابن أبي شيبة وله حكم الرفع .

- **هل يلزم الصبي إذا أحرم بالحج ما يلزم البالغ من أحكام الحج ؟**

ذهب بعض العلماء إلى أن الصبي إذا أحرم بالحج لزمه ما يلزم البالغ من أحكام الحج ، لأنه إذا ثبت له الحج ثبت للحج محظوراته وأحكامه .

وذهب بعضهم : إلى أن الصبي إذا أحرم بالحج لا يلزمه ما يلزم البالغ ، فلا تترتب عليه أحكامه .

وهذا مذهب أبي حنيفة ، ورجحه ابن حزم .

- **هل يلزم الصبي المضي وإتمام حجه ؟**

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : المشهور من المذهب [يعني مذهب الحنابلة] أنه يلزمه الإتمام ؛ لأن الحج والعمرة يجب إتمام فعلهما .

والقول الثاني ، وهو مذهب أبي حنيفة ، رحمه الله تعالى ، أنه لا يلزمه الإتمام ؛ لأنه غير مكلف ، ولا ملزم بالواجبات .

وهذا القول هو الأقرب للصواب ، وهو ظاهر ما يميل إليه صاحب الفروع [يعني ابن مفلح ، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية] .

وعلى هذا له أن يتحلل ، ولا شيء عليه ، وهو في الحقيقة أرفق بالناس ؛ لأنه ربما يظن الولي أن الإحرام بالصبي سهل ، ثم يكون على خلاف ما يتوقع ، فتبقى المسألة مشكلة ، وهذا يقع كثيراً من الناس اليوم ، فإذا أخذنا بهذا القول ، الذي هو أقرب للصواب لعلته الصحيحة ، زالت عنا هذه المشكلة .

٣-قوله ﷺ (ولكِ أجر) ؟

قال عياض : وأجرها فيما تكلفته في أمره في ذلك ، وتعليمه ، وتجنيبه ما يجتنبه المحرِم .

وقال النووي : معناه بسبب حملها ، وتجنيبها إياه ما يجتنبه المحرم ، وفعل ما يفعله المحرِم .

وقال الصنعاني : أي : بسبب حملها ، وحجها به ، أو بسبب سؤالها عن ذلك الحكم ، أو بسبب الأمرين .

فثواب حج الصبي له ، لقول ﷺ (ولك أجر) ولم يقل : ولكِ أجره .

وأما الحديث المروي (ثواب حج الصبي لوالديه) فهذا الحديث ضعيف, بل ذكر بعضهم أنه موضوع.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله : أعمال الصبي الذي لم يبلغ – أعني أعماله الصالحة – أجرها له هو لا لوالده ولا لغيره ، ولكن يؤجر والده على تعليمه إياه وتوجيهه إلى الخير وإعانته عليه؛ لما في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة رفعت صبياً إلى النبي ﷺ في حجة الوداع فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال (نعم ولك أجر) فأخبر النبي ﷺ أن الحج للصبي وأن أمه مأجورة على حجها به.

٤- فيه دليل على فساد من يقول من العامة : إن ثواب حج الصبي لوالده .

٥-قبول العبادة من الصغار وإثابتهم عليها ، وفيه تدريب وتمرين على طاعة الله .

٦-جواز سؤال المرء عن اسمه ، خصوصاً إذا صحبته أو أرادت أن تتعامل معه ، حتى قال بعض الحكماء : من الجفاء أن تصاحب رجلاً لا تعرف اسمه .

٧-أن الذكر والدعاء في الطواف ليس بواجب ، لأن الطفل غالباً لا يحسن أذكار الطواف حتى يقولها .

٨-أن صوت المرأة ليس بعورة لكن بشرط عدم الخضوع واللين لقوله تعالى (فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً) .

١٨٠- وعن أَبي موسى الأشعري ﷺ ، عن النَّبيّ ﷺ ، أنَّه قَالَ : ((الخَازِنُ المُسْلِمُ الأمِينُ الَّذِي يُنفِذُ مَا أُمِرَ بِهِ فيُعْطيهِ كَامِلاً مُوَفَّراً طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ ، أَحَدُ المُتَصَدِّقِين)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

وفي رواية : ((الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ)) وضبطوا ((المُتَصَدِّقِين)) بفتح القاف مَعَ كسر النون عَلَى التثنية ، وعكسه عَلَى الجمعِ وكلاهما صحيح .

(**الْخَازِنُ الْمُسْلِمُ**) قيده بالمسلم لإخراج الكافر ، لأنه لا نية له .

(**الأَمِينُ**) قيده به لإخراج الخائن ، لأنه مأزور لا مأجور .

(**الَّذِي يُنْفِذُ ، وَرُبَّمَا قَالَ يُعْطِي – مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلاً مُوَفَّرًا**) أي : أنه يعطي من غير نقص شيء منه بهواه .

(**طَيِّبٌ بِهِ**) أي : بالصدقة والعطاء .

(**نَفْسُهُ**) أي : يكون راضياً بذلك ، وإنما قيّده به تنبيهاً على تحقق النية .

(**أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ**) أي : يشارك صاحب المال في الصدقة ، فيصيران متصدقَين ، ويكون هو أحدهما ، هذا على الرواية بفتح القاف ، قال في الفتح : ضُبط في جميع الروايات بفتح القاف .

١- الحديث دليل على أجر الخازن إذا تصدق بإذن المالك .

٢- أن حصول الأجر للخازن مشروط بهذه الأوصاف المذكورة في هذا الحديث ، فمهما اختل شرط لا يحصل له الأجر .

قال القرطبي : هذه الأوصاف لا بدّ من اعتبارها في تحصيل أجر الصدقة للخازن ، فإنه إن لم يكن مسلمًا لم يصحَّ منه التقرُّب ، وإن لم يكن أمينًا كان عليه وزر الخيانة ، فكيف يحصل له أجر الصدقة ؟! وإن لم يطب بذلك نفسًا لم يكن له نية ، فلا يؤجر .

٣- قوله (طَيِّبٌ بِهِ نَفْسُهُ) أي : يكون راضياً بذلك، وإنما قيّده به تنبيهاً على تحقق النية، لأن بعض الناس، من أصحاب النفوس المريضة بالبخل لا يرضى بخروج شيء من يده ، وإن كان ملكاً لغيره ، فربما يخرجها كارهاً بلا نية ، فيفقد الأجر .

٤- حث الإسلام على التعاون والتعاضد والتناصح .

٥-أن ثواب الصدقة لا يقتصر على المالك فقط ، بل كل من تسبب في إيصالها إلى مستحقها بنية خالصة مع بقية الشروط حصل له ثوابها .

٦- سعة رحمة الله وفضله .

٧- الحث على الصدقة .

٨- فضل الأمانة .

٩- على العامل والخازن أن يؤديه عمله كاملاً بانشراح صدر .